في مهرجان دبي السينمائي 8

8th Dubai International Film Festival
Bridging Cultures. Meeting Minds.
December 7-14, 2011

فيلم عن الموسيقى في أوّل حضور عراقي.. والهجرة غير الشرعيّة لفيلم إيطالي

شهد يوم أمس الحضور العراقي الأول في المهرجان في قسم (ليالٍ عربية) من خلال فيلم (صمتا: كل الطرق تؤدي إلى الموسيقى) للمخرج الشاب المقيم في إيطاليا حيدر رشيد الذي سبق أن شاهدنا له فيلمه الروائي الأول (المحنة) في الدورة السادسة للمهرجان، وفاز بجائزة أفضل فيلم في مهرجان الخليج السينمائي.. في فيلمه هذا مجموعة استثنائية من الموسيقيين من أماكن وأصول واهتمامات مختلفة يلتقون في إحدى البلدات الساحلية جنوبي ايطاليا ينشغلون بهمّ واحد يتمثل بالبحث عن صوت فريد يجمع الموسيقى الصقلية والعربية، والجاز يكون هو صوت الموسيقى الأصفى بوصفها اللغة المشتركة للبشر.. وستكون لنا وقفة أطول مع هذا الفيلم في وقت آخر.

الفيلم الايطالي تيرافيرنا

مادونا مخرجة في فيلم عن البلاط الملكي البريطاني

علاء المفرجي

دبي

كان اختيار إدارة المهرجان للفيلم الايطالي (تيرافيرنا) للمخرج كريساليس لافتتاح فعاليات (الجسر الثقافي سلام) من جهة، إن موضوع الفيلم يمثل تعبيرا حقيقيا عن فكرة هذه الفعالية التي تسعى إلى قهر الحواجز والعوائق الثقافية بين البشر، وأيضا كونها تجسيدا لشعار المهرجان بوصفه "ملتقى الثقافات والإبداعات" . و(تيرافيرنا) بالنهاية هو أحد أهم الأفلام التي تزخر بها دورة المهرجان هذا العام، ويعد مخرجه كريساليس اسما بدأ يكرس حضوراً لافتاً في سينما كان لها دور كبير في صياغة تاريخ السينما العالمية، وفي جعبته حتى الآن ثلاثة أفلام رواية طويلة كانت كافية لكي تلفت إليه أنظار الجمهور والنقاد في كل مكان، حيث استطاعت أن تعتلي منصات الجوائز في مهرجانات سينمائية مهمة وآخرها فيلمه هذا الذي سبق له أن فاز بجائزة التحكيم الكبرى لمهرجان فينيسيا السينمائي الأخير.

مادونا

يأخذنا فيلم كريساليس إلى جزيرة صغيرة من جزر صقلية المنسية، يعمل سكانها ويعتاشون على صيد السمك، والبحر هو عالمهم الحقيقي الذي تتجلى فيه قوانينهم وعلاقاتهم الإنسانية، هو حدود لعلاقتهم بالعالم، وكان من الطبيعي أن تؤثر الفورة الاقتصادية في هذا العالم المستكين، ليكتشفوا من خلالها نشاطا جديدا يتمثل بانتباه السياح لجزيرتهم وهو ما يعني مصدراً آخر للرزق ، لكنه هذه المرة ينال من قيم اجتماعية راسخة.. وقضية أخرى تتجلى عنها هذه الفورة التي تتعلق بكون الجزيرة هدفا للمهاجرين غير الشرعيين، خاصة أن إيطاليا تشهد الآن اكبر موجة من موجات هجرة المهاجرين غير الشرعيين، وهو الأمر الذي قلب حياة هذه الجزيرة رأسا على عقب.

تتركز أحداث الفيلم عن عائلة تمثل نموذجا لحياة أناس الجزيرة، تنشغل بهمومها اليومية، وأحلام أفرادها، ولكن الأقدار تضعها أمام حدث سيغير مجرى هذه الحياة بالنسبة لها، عندما (تتورط) في إيواء عائلة مهاجرة، فيهيمن القلق والخوف عليها، بين الاستجابة لقوانين البلد التي تحرم التعاطي مع هذا الموضوع، والدافع الإنساني المتجذر في تقاليد البحر التي تحكم الجزيرة منذ سنين طويلة. وفي تصاعد سلس للأحداث نكون أمام قضية تشغل هذه العائلة، تتنصر فيها بالنهاية إنسانية البشر عندما يقرر الابن خوض تجربة إنقاذ العائلة المهاجرة إلى النهاية.

وعلى الرغم من أن هذا الفيلم ليس الوحيد الذي يناقش مثل هذه القضية ، لكنه ينفرد بكون خطابه لا يخفي انحيازه في التعاطف مع محنة البشر في الحصول على حياة أفضل.

وفي فعالية (سينما العالم) قدمت النجمة الشهيرة "مادونا"، المطربة الحاصلة على العديد من جوائز الـ"جرامي" ، والممثلة المشهورة، ومؤلفة كتب الأطفال، ومصممة الأزياء ، فيلم (W.E)، في أول تجربة إخراجية لها وهي في هذا الفيلم تطور التفصيل الذي تضمنه فيلم (خطاب الملك) الذي شاهدناه في افتتاح دورة مهرجان العام الماضي، حيث يلاحق هذا الفيلم "القصة" التي تجمع "الملك إدوارد الثامن" و"واليس سيمبسون" وهي فتاة من العامة، ولكن من خلال امرأة (والي وينثروب) وهي امرأة من نيويورك، تعيش حياة تعيسة مع زوجها، ولا تجد مهرباً من شقائها، إلا في هوسها بقصة الحبّ . تسمع، ذات يوم، أن أحد أملاك الزوج الملكي، في مقاطعة "سوثبي" ، سيُباع في المزاد، وتحاول أن تفهم طبيعة العلاقة التي جمعت بين العشيقين، من خلال التُحف التي كانا يملكانها يوماً. وعندما تذهب إلى تلك المقاطعة، تلتقي موظفاً، اسمه "يفجيني" ، وتجده ذا ماض غامض، وهنا تتعقّد الحكاية. يروي هذا الفيلم قصتي حبّ تجري أحداثهما بالتوازي، وعلى الرغم من أنه يفصل بينهما ما يزيد على ستة عقود من الزمن.

فيلم حيدر رشيد

قناديل

▪ لطفية الدليمي

من يمنح الدروع والشهادات التقديريّة؟

لا أدري من ابتكر دروع التكريم المحفوظة في علب مخمل أنيقة، ولا أعرف من ابتكر القلائد المصبوبة من معدن زائف براق ومعها شهادة تقديرية، لكني أعلم أنها صارت تمنح غالبا من قبل مؤسسات وأشخاص غير معروفين بمنجز أو مكانة مرموقة.

ما قيمة درع أو شهادة تقديرية أو قلادة تهدى إلى مبدع أو عالم أو طبيب أو مشتغل بالفلسفة من قبل شخص هو أقل شأنا من الذين يقوم بتكريمهم؟ فأن يتقبل المبدع تكريم جهة لا وزن لها يشبه أن يخدع المرء نفسه في المرايا وهو يعتمر تاجا من ورق لامع في حفل تهريج فالدروع لا تمتلك قيمة إلا إذا منحت من مؤسسة مرموقة أو جامعة رصينة أو شخصية بارزة.

يعمد بعض الأشخاص وفي فوضى القيم واضطراب الأوضاع وشيوع الزيف وتزوير الوقائع والسير الذاتية – إلى إطلاق مؤسسات وهمية ذات أسماء رنانة تهب المبدعين –عراقيين وعربا– دروعها وقلائدها وشهاداتها من دون أن يتساءل أحد من المكرمين عن مكانة الشخصية التي تكرمهم وتاريخها ومنجزها العلمي أو الإبداعي، ففي بلاد الدنيا أجمعها لا يقوم بإهداء الدروع التكريمية سوى الشخصيات البارزة والمؤسسات الراسخة والهيئات الكبرى، أما عندنا فيقوم أي شخص يحصل على تمويل ما بإطلاق حملات التكريم والدروع التي لا تملك أية أهمية لأن مانحها لا يملك قيمة اعتبارية أو تاريخا ثقافيا أو علميا أو منجزا راسخا في ذاكرة الناس.

٢

قد تكون الدروع الرسمية أحيانا اعتذارا متأخرا من جهة مسؤولة كوزارة أو إدارة حكومية – فتقدمها لعالم أو مبدع أو تسمى الدروع باسم شخصية كبيرة راحلة قدمت للبلد وثقافته الكثير مع أن المبدع والمنتج الحقيقي للمعرفة لا ينتظر جزاء عن جهده ولا تعنيه الخطب الرنانة فهو ينجز ما يمنح معنى لحياته ووجوده ويتمتع بمنجزه متعة لا توازيها بروق الدروع والقلائد وعبارات التمجيد والمديح المؤقتة.

المبدعون من علماء وأطباء ومهندسين ومسرحيين وكتاب وتشكيليين ورجال قانون –لا ينتظرون وقد افنوا أعمارهم في الإنجاز وغادروا عمر التباهي– غير أن يتوفر لهم حق المواطنة في بلادهم كما للآلاف من مزوري الشهادات حاملي الذكر الذين يحتلون مواقع رفيعة في دولة وفرت لهم مردودات فائضة عن حاجة الإنسان السوي، وهيأت لهم نمط عيش مترف برواتب خرافية ومساكن فارهة وقطع أراض مجانية ممتازة، وجوازات سفر دبلوماسية لا يستحقونها، بينما تقوم مراكز دراسات عراقية ناشئة خارج العراق بمنح العلماء والمبدعين دروعا وأغلبهم يعيش محروما من كرامة العيش الإنساني و حقوق المواطنة التي تكفل له الإقامة الآمنة في وطنه وهو بحاجة إلى الخدمات الصحية والاهتمام الفعلي بإنسانيته، بينما تتكدس الدروع وشهادات التقدير في خزانته يعلوها غبار الحسرة والمفارقة، فلاهي وصفة سحرية للعيش وليست كنزا يمده بموارد للعلاج من أمراض الكهولة والشيخوخة ، وليس بوسع الدروع اللامعة أن تعوضه عن منزل أو سقف يلوذ به إذا عزّ عليه المأوى والأمان، ولن تعينه على نشر نتاجه الجديد أو إعادة نشر كتبه وأعماله إذا كان ممن ابتلي بحرفة الكتابة والأدب.

إن عشرات الشهادات التقديرية والدروع اللامعة لا تعدو عن كونها موجودات عاطلة عن الشفاعة وعاجزة عن حماية كرامة الإنسان المبدع ولا تمثل غير منّة تثقل كاهله بلا جدواها وليست غير توقير عابر لا يضيف لمنجزه مجدا ولا قيمة تذكر ،وتبقى الدروع الممنوحة من شخصيات ومؤسسات غير معروفة بتاريخ أو منجز ،وسيلة ينال المانح عبرها تمويلا وشهرة.

الـــــــغـــــــــول الأحـــــــمـــــــق

د. جمانة القروي

مجيئي الآن" ! صعدت، تدفعها الغيرة من المرأة التي في هي أحضانه منذ أيام، ارتابت من خلال صوته على الهاتف وهو يتصنع النوم أحيانا، أو أنه في مكان عام أحيانا أخرى! يكلمها من شرفة المنزل، حتى لا تسمعه الأخرى ! لكن ذلك لم يخفَ عليها، فمنذ أن تزوجا قبل بضع سنوات وهي تعلم تماما بأنه يخونها كلما سنحت له الفرصة لذلك.

توقفت قليلاً في أحد الطوابق، لم يعد صدرها يحتمل قرع طبول الرهبة من الأشباح التائهة التي تتراقص أمامها ! حانت منها التفاتة إلى ساعة يدها، لم تتجاوز التاسعة صباحا بعد، قررت العودة وانتظار مرور الوقت. نزلت بضع درجات، إلا أنها سرعان ما عادت ! "يجب أن أكشف خداعه الذي تمادى فيه. وليكن ما يكون، يكفيني مذلة وقهر" حدثت نفسها!

تأوهت متألمة! لقد ضاقت ذرعا بخيانته المتكررة، وفي كل مرة يقدم لها عذرا أو سببا تافهاً، فتسامحه وتغفر له زلاته. فحبها له كان يجبرها على العفو." لكن لماذا " ؟؟ سألت نفسها مئات المرات ! لقد ضحت بأهلها وبكل ما تملك من اجل إرضائه،لكنه لم يقدر ذلك ! طفح كيل العفو، حتى الحب اخذ يتلاشى ويموت في قلبها !

على درجات السلم المعتم، كعتمة أيامها معه، تتلمس طريقها رغم ظلمته الحالكة ! تتقاذفها مشاعر الشك باليقين، مثلما تتقاذف الأمواج الهائجة السفن التائهة في عرض البحر، أفكارها مبعثرة متشظية، " يا ترى ماذا يفعل الآن ؟ كيف سيتصرف حينما يراني أمامه ؟ هل أظلمه" !

أحاسيس غريبة أيقظت وجع سنواتها العديدة معه، صوت من أعماقها يهتف بها " لا تكوني ساذجة! "أنتِ قربان لأي امرأة مهما تكن واطئة ! لامت نفسها" أنا من سمحت له بذلك، أنا من أذلت له نفسها، لكني اليوم سأواجهه بحقيقته التي طالما تسترت عليها حتى أمام نفسي "!

تناوبت عليها الأفكار والهواجس وكأنها أسراب من النحل التائه! جربت أن تنفض عن عقلها تلك الأفكار المحمومة، لكنها لم تتمكن، فقد طاردتها كما لو أنها حقيقية. لمست المفتاح في حقيبة يدها. لكنها قررت أن تطرق الباب أولا ! تسمرت أمام باب شقتها لبرهة، مرت كأنها دهر !! اختض جسدها كما السعفة الجافة أمام ريح عاتية، اقتربت بسبابتها من جرس الباب الكهربائي، إلا أنها سحبتها بسرعة، مرات عديدة ترددت في الضغط عليه، حاولت من جديد ! سحبت نفسا عميقا ،فدخل الهواء إلى أحشائها كأنه نار أحرقتها ! بسرعة مدت إصبعها فلامس الزر البارد فضغطت بكل ما تحمله من ألم في أعماقها !..سكون يعم البيت، رنة أخرى! صمت.وثالثة. جفلت لجلبة رنت بالداخل. وصوته يسألها :"منَ؟ منَ في الباب "! لم تستطع الرد فقد جف بلعومها، وتحشرجت الكلمات فيه !كرر سؤاله. تمالكت زمام نفسها وأجابته مغيرة من نبرة صوتها

-أنا افتح!

-منَ أنت؟

ازدادت سَخطاً واشمئزازاً "هل من المعقول انه نسي صوتي أنا التي عشت معه خمس سنوات "!! ما هي إلا لحظات حتى سمعت صوت المفتاح يدور، انفتح الباب عن شق صغير بالكاد يظهر نصف رأسه منه! بدا وجهه متجهماً كئيباً. تبادلا نظرة مليئة بانفعالات، وفصل بينهما صمت طويل.! دفعت الباب بكفها محاولة الدخول، إلا أنه أغلقه دونها.! دهشت، اتسعت له عيناها، وقد أيقنت تماما أن امرأة أخرى في بيتها وعلى فراشها.!

استمرت بطرق الباب تارة بالجرس الكهربائي وأخرى بيديها. لم تع كم من الوقت مضى حينما فتح الباب ليظهَر هو بملابس البيت وبيده المفتاح. حاولت أن تدخل إلا انه دفعها عن طريقه، أغلق الباب بوجهها، دون أن ينبس بكلمة واحدة، أو يعلل سبب رفضه دخول بيتها. هابطاً السلم.

هدأ كل شيء، غابت الخطوات. حتى الهواء أصبح ثقيلا وقاسيا، أصبح بالنسبة لها كائنا غريبا لا تربطه بها أية علاقة ،ندت عنها آهات الهم والحسرة، كأنها دخان نار صب عليه ماء بارد.

أفاقت، مجفلة من تأثير الصدمة، التي مازالت تعيش انفعالاتها. حدقت في الظلام، فتراءت لها فكرة فتح الباب بمفتاحها الذي تاه عن عقلها في لجة البراكين التي تطفح بحممها فيه.

ازداد الخوف بداخلها عندما خطت قدمها عتبة بيتها، فمن الوهلة الأولى شعرت بزمجرة العاصفة. اتجهت إلى غرفة نومهما، شيء ما معلق على حافة السرير تقدمت، قلبته. قميص نسائي " أي استهتار هذا بأحاسيسي " ! خاطبت ذاتها المجروحة. فجأة سمعت وشوشة خلفها، التفتت لترى امرأة مختبئة خلف الباب وهي ترتجف !!

تسمرت في مكانها، قلبتها بعينيها، رمقتها بنظرة شزرة ساخرة، ولبرهة أجرت مقارنة بينها وبين من تقف خلف الباب، مشعثة الشعر،بدينة، دميمة الوجه، قصيرة كأنها أحد أقزام الحكايات، حتى جلبابها، قديم باهت الألوان. ما الذي تملكه، لماذا اثرها ؟؟؟ بحثت عمن يلجم تلك الخيول المتراكضة في رأسها! ويرد على تساؤلاتها ! فجأة، دخل ليقف بينهما بكل ضخامته،ثم طوقها بكلتا ذراعيه بقوة وعنف، دافعاً إياها للغرفة المجاورة.

كل شيء في المنزل من صنع يديها، هي من نسق ورتب الأشياء الصغيرة، هي من خاط الستائر واختار ألوانها.! بنوبة احتجاج وغضب مستعر، صرخت."لم تعد تعن لي شيئا، ولكن، لماذا. فقط أريد أن اعرفَ لما !!!! ذ !!! "؟؟ ردت عليها كفه الثقيلة، أدارت رأسها للناحية الأخرى، سقطت إثرها متهاوية على الأرض! هجم عليها كغول أحمق بقسوة وغلظة، وأخذ يضربها بوحشية وبشاعة، غول معتوه فقد زمامه، لم تعد ترى شيئا، اختفى المكان، وتحول إلى عدم، تلاشى كل شيء تحت ضباب أسود. حاول قطع أنفاسها بعد أن أحكم يديه على رقبتها. كان يرعد بكلمات رعناء "أخرجي من حياتي لم أعد أطيقك"! لهنيهة ارتخت يداه عنها، عندئذ دفعته بكلتا رجليها على صدره، فتراجع للخلف، كان صدره يعلو ويهبط وعروق رقبته قد نفرت. انقض كرة أخرى على جسدها الرقيق ،وأخذ يضربها بكل شبق الضغينة. حمم من الجنون سيطرت عليه وعصفت به، لمحت عينيه الجاحظتين بالهلع، فاستغلت لحظة الضعف تلك لتتخلص من قبضته، وقد كظمت غيظاً مضاعفا عليه، مكثت تتلظى. ثم ألتفتت إليه، كانت أعماقها تتمزق، وبكاء صامت مكبوت تحجر في مقلتيها، أصبح كائناً لا تربطها به أية علاقة، أشبه بطحالب البحر التي تتقاذفها الأمواج.!

حاول قطع أنفاسها بعد أن أحكم يديه على رقبتها. كان يرعد بكلمات رعناء "أخرجي من حياتي لم أعد أطيقك"! لهنيهة ارتخت يداه عنها، عندئذ دفعته بكلتا رجليها على صدره، فتراجع للخلف، كان صدره يعلو ويهبط وعروق رقبته قد نفرت. انقض كرة أخرى على جسدها الرقيق، وأخذ يضربها بكل شبق الضغينة

جمانة القروي